

## مادة: تاريخ النظم المالية في الإسلام

د/ مريم شطيبي محمود

### الفصل الرابع: النظام المالي في عهد الأمويين

يتمثل أهم خلفاء بني أمية بعد الخلفاء الراشدين في:

\* معاوية بن أبي سفيان.

\* يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.

\* معاوية بن يزيد بن معاوية.

\* مروان بن الحكم.

\* عبد الملك بن مروان.

\* الوليد بن عبد الملك.

\* سليمان بن عبد الملك.

\* عمر بن عبد العزيز.

\* يزيد بن عبد الملك.

\* هشام بن عبد الملك.

ولقد هبط في عهدهم مستوى أداء المالية العامة الإسلامية، فلم تعد تتحرك تحركاً منضبطاً بهدى من القرآن الكريم وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهج الخلفاء الراشدين من بعده، بل مالت عن الانضباط المالي الإسلامي ووقعت بها بعض التجاوزات والمخالفات.

## أولاً: أسباب وقوع المخالفات المالية في عهد بني أمية

\* الإمارة لم تعد بالبيعة وإنما أصبحت ملكاً يتوارثه الأبناء عن الآباء.

\* انقسم الرعية بين مؤيدين لبني أمية ومناصرين لبني هاشم بعد الحروب التي قامت بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، فقام الأمراء الأمويين باضطهاد من ينصرون لبني هاشم وحرموهم بعض حقوقهم من الأموال العامة.

\* بعض أمراء بني أمية انغمسوا في ملاذ الدنيا ولم يفرقوا بين ماليتهم الخاصة والمالية العامة، فنالوا ما يشاءون فابتعدوا عن حالة الزهد والتقشف التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

\* امتدت التجاوزات إلى طريقة اختيار الولاة وعمال الدولة ومنهم عمال الخراج، فلم يكن معيار اختيارهم الكفاءة وإنما قام الاختيار في بعض الحالات على معايير أخرى منها صلة القربى بالحكام ومدى الولاء لهم.

## ثانياً: نماذج لمخالفات المالية العامة الإسلامية في عهد الأمويين

وقعت مخالفات وتجاوزات في العهد الأموي شملت عناصر المالية العامة التالية:

### 1- مخالفات في الإيرادات العامة

أ - قتل من تركى: جاء رجل إلى سمرة بن جندب وكان والياً على البصرة بعد زياد في عهد معاوية وأدى الزكاة، فجعل يصلي في المسجد فجاء رجل فضرب عنقه فإذا رأسه في المسجد وبدنه في ناحية أخرى فمر أحدهم فقال: يقول سبحانه وتعالى: «قد أفلح من تركى وذكر اسم ربه فصلى»<sup>1</sup>.

### ب - غلول في خمس الغنائم:

<sup>1</sup>سورة الأعلى، الآية: 14، 15.

\* كتب زياد والي معاوية إلى الحكم بن عمرو بعد انتصاره في غزوة جبل الأشل وحصوله على مغنم كثيرة أن لا يقسم الغنائم بين الفاتحين، فكتب إليه الحكم أن كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين، وقال الحكم للناس: «أغدوا على غنائمكم» فغدا الناس وقد عزل الخمس، فقسم بينهم تلك الغنائم فهدده زياد، فقال الحكم: اللهم إن كان لي عندك خير فاقبضني، فمات بخراسان.

\* لما افتتحت الأندلس في عهد الوليد بن عبد الملك أصاب الناس فيها غنائم فغلبوا فيها غلولا كثيرا حملوه في المراكب وركبوا فيها.

**ج - إهدار أساسي في الجزية:** يقضي القرآن المجيد بأن الجزية على من لم يسلم من أهل الكتاب، وسبق أن أوردنا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس على مسلم جزية».

ويفسر أبو عبيد الحديث السابق للرسول صلى الله عليه وسلم فيقول: إن تأويل هذا الحديث أن رجلا لو أسلم في آخر السنة وقد وجبت عليه الجزية أن إسلامه يسقطها عنه فلا تؤخذ منه وإن كانت قد لزمته قبل ذلك، لأن المسلم لا يؤدي الجزية ولا تكون ديناً عليه، ومع ذلك كان الحجاج بن يوسف في عهد عبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك أول من أبقى الجزية على من أسلم، فقد لاحظ أن عددا كبيرا من أهل الذمة قد اعتنق الإسلام وأن إسقاط الجزية يؤثر على حصيلتها فأثر بقاء الحصيلة على تطبيق القرآن والسنة.

**د - خراج فوق الطاقة:** كتب سليمان بن عبد الملك إلى أسامة بن زيد متولي خراج مصر متعسفا في جباية الخراج.

**هـ - حصيلة محرمة من عشور التجارة:** كانت تؤخذ عشور التجارة على الخمر مع أنها محرمة وأن الله إذا حرم شيئا حرم ثمنه.

**و- إستيلاء الولاة على حصيلة الإيرادات العامة:** شهدت الدولة الأموية نماذج من تجاوز أمراء بني أمية بغير حق للولاة على ما جمعوه من أموال عامة والاكتفاء بعزلهم وعدم استمرارهم في

أعمالهم، واغفال مبدأ محاسبة الولاية وعمال الدولة على ما جمعه من أموال عامة، حيث يشيع بينهم الاستخفاف بقدسية المال العام، وظاهرة الإسراف والاستيلاء عليه، وترجيح إثارة المنافع الخاصة على النفع العام، وفيما يلي نماذج للتغاضي عن محاسبة الولاية على ما جمعه من أموال في عهد معاوية بن أبي سفيان و يزيد بن معاوية:

\* أراد معاوية بن أبي سفيان أن يعزل عبد الله بن عامر عن البصرة فقال له: اختر بين أن أتبع أثرك وأحاسبك بما صار إليك وأردك إلى عملك وبين أن أسوغك ( أترك لك ) ما أصبت وتعتزل، فاختار أن يسوغه ما أصابه من ولايته ويعتزل.

\* قدم عبد الرحمان بن زياد حاكم خراسان على يزيد بن معاوية فقال له: كم قدمت به معك من المال من خراسان، قال: عشرين ألف درهم، قال يزيد: إن شئت حاسبناك وقبضناها منك ورددناك على عملك، وإن شئت سوغناك وعزلناك وتعطي عبد الله بن جعفر خمسمائة ألف درهم، قال: بل تسوغني ما قلت ويستعمل عليها غيري، وبعث عبد الرحمان بن زياد إلى عبد الله بن جعفر بألف درهم وقال: خمسمائة ألف من قبل أمير المؤمنين وخمسمائة ألف من قبلي.

حدث هذا في عهد بني أمية بينما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحاسب الولاية على الزيادات التي طرأت على أموالهم الخاصة ويقاسمهم إياها ويوردها لبيت المال.

## محاضرة 02

### مادة: تاريخ النظم المالية في الإسلام

د/ مريم شطيبي محمود

## 2- مخالفات النفقات العامة

أ - الإنفاق العام على ترف الأمراء: في عهد بني أمية اختفى زهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده، وكان لا يتم الفصل بين الأموال العامة و أموال رؤساء الدولة فعاشوا عيشة الترف وأنفقوا على ترفهم من بيت مال المسلمين، وفيما يلي نماذج لذلك:

\* قال معاوية بن أبي سفيان: رحم الله أبا بكر لم يرد الدنيا ولم ترده الدنيا، وأما عمر فأرادته الدنيا ولم يردّها، وأما عثمان فأصاب من الدنيا وأصاب منه واما نحن فتمرغنا فيها. ثم كأنه ندم فقال: والله إنه لملك أتانا الله إياه.

\* لما حضرت الوفاة معاوية أوصى بنصف ماله أن يرد إلى بيت المال، كأنه أراد أن يطيب له الباقي لأن عمر قاسم عماله.

\* وعن ترف يزيد بن معاوية قيل: أن يزيد كان أشد الناس اهتماما بالصيد، وأنه كان يلبس كلاب الصيد الأساور من الذهب والجلجل المنسوجة منه، ويهب لكل كلب عبدا يقوم على رعايته وخدمته، كما كان يزيد كثير الرغبة في اللهو والقنص والخمر والنساء والشعر، وكانت ولايته حوالي ثلاثة سنين وستة أشهر.

\* وعن سليمان بن عبد الملك قيل: كانت الخلافة الأموية في الاهتمام بالنعمة الدنيوية على أتمها، ففي عهد سليمان بن عبد الملك كان أكثرهم اهتماما بنعمة العيش سواء في الطعام أو الكساء، كما كان سليمان يجلس وإلى جانبه الأموال آنية الذهب والفضة.

ب - نفقات عامة على مظهرية الحكم: كان الخليفة من الراشدين يلبس ثوبا عاديا ويمشي في الأسواق كبعض الرعية دون حراس أو مظهر من مظاهر السلطان، غير أن الدولة الأموية بعدهم استحدثت تقاليد عديدة ومميزات تميز بها السلطان وأنفق من بيت مال المسلمين على تمويل تلك التقاليد والمميزات.

وقد كان معاوية بن أبي سفيان هو أول من اتبع تلك التقاليد والمميزات، فبنى لنفسه قصرًا سماه الخضراء واتخذ فيه السرير للجلوس وهو المكان المرتفع أو ما يعرف في الوقت الحاضر بكرسي العرش، ثم وضع حول هذا السرير الستائر، كما أحاط نفسه بالحجاب وجعل الحراس يمشون بين يديه ووضع الشرطة لحراسته.

كما ظهرت أيضا أئمة الملك في عهد عبد الملك بن مروان إذ تشبه بملوك الفرس وقيصرة الروم، فكان يجلس على عرشه وعلى يمينه الأمراء وعلى يساره رجال الدولة، ثم يقف أمامه من يريد المثول بين يديه من رسل الملوك والشعراء والكتاب والفقهاء وغيرهم، وصار عبد الملك كما وصفه أحد المؤرخين المسلمين أول من تجبر من الخلفاء.

وامتدت هذه التقاليد الجديدة إلى ولاية بني أمية وعمالهم فقد عين معاوية مثلا زياد بن أبيه على البصرة ثم أضاف إليه الكوفة حتى صار أميراً على العراق كله، فاتخذ زياد له حرساً خاصاً مدرباً قوامه أربعة آلاف رجل كانوا له العيون والأرصاد، كما كان منهم الشرطة لحفظ النظام.

**ج - نفقات عامة لإسكات المعارضة:** بعد عصر الخلفاء الراشدين اتخذت حركة الإنفاق العام مسارات جديدة بهدف تثبيت السلطان الحاكم وكف المعارضة عنهم وأيلولة الحكم إلى بنينهم من بعدهم، ولم تكن الأموال العامة تعطى المعارضين فقط بل كانت تعطى لأقاربهم أيضاً.

**د - نفقات عامة لتأليف القلوب للسلطة وليس للإسلام:** وجه نوع من الإنفاق نحو تأليف القلوب لحكم معاوية وليس بتأليف القلوب الذي طبقه الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد كان يمنح الأموال لحديثي العهد بالإسلام لتقوية إيمانهم أو لرؤساء العشائر لرد أذاهم عن الإسلام والمسلمين، وشتان بين التأليفين، فتأليف الرسول صلى الله عليه وسلم كان للإسلام وتأليف معاوية كان لتأييد حكمه ودوام ملكه.

**هـ - انفاق بعض المال العام على قتال المسلمين:** فلما حدث النزاع بين علي ومعاوية وأيلولة الحكم لمعاوية، حدثت خلافات في الرأي بين الدولة وبعض طوائف الأمة وأدت تلك الخلافات إلى

منازعات استخدمت فيها الدولة الأموية جند الإسلام والسلاح والعتاد لفض تلك المنازعات، وقد كان تمويل ذلك من بيت مال المسلمين، وبذلك استخدم المال العام لقتال وقتل بعض المسلمين بدلا من أن يوجه لأداء خدمات عامة لهم ومنها الأمن الداخلي وأمانهم الخارجي.

ومن أمثلة ذلك القتال الذي نشب في عهد معاوية بن أبي سفيان بينه وبين الخوارج، والقتال الذي وقع في عهد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان مع الحسين بن علي وأسفر عن قتله وبعض أهل بيته وعدد ممن بايعه من القبائل، والقتال في عهد عبد الملك بن مروان الذي أدى لقتل عبد الله بن الزبير وبعض أنصاره.

**و- إسراف في النفقات العامة لحاشية الولاية وللشعراء:** مدح الشاعر جرير عبد الملك بن مروان بقصيدة طويلة، فلما فرغ من إنشاده أمر له بمائة ناقة.

### **3- مخالفاتفي الإدارة المالية وعمالة الدولة**

من عوامل نجاح السياسة المالية لأي دولة أن تكون إدارتها رشيدة ولذلك نهى القرآن المجيد عن أن يتولى إدارة الأموال السفهاء وهم من لا يحسنون إدارتها، ولذلك كان من أهم عناصر نجاح الإدارة المالية اختيار العاملين بالدولة على أساس الكفاءة المطلقة، وفي العهد الأموي كان من أسباب هبوط مستوى الأداء المالي العام اهتزاز سياسة عمالة الدولة، فكان الهدف السياسي الأول كما ذكرنا هو تثبيت دعائم الحكم الأموي، وفي سبيل ذلك كان لا يختار لبعض وظائف الدولة الأصلاح والأكفاء وإنما أقربهم مودة وأشدهم حماسا لتأييد الحكم، فتولى الخراج عمال غير أكفاء أساءوا إلى بيت المال والممولين، وحاد بعضهم عن الحق في التنفيذ استجابة لرغبات السادة وتعبيرا عن الولاء لهم.

### **4- مخالفات في عطاء بيت المال**

كان العطاء في عهد الخلفاء الراشدين مرتبطا بعدالة الإسلام فاتسم بالحق والعدل والشمول، غير أنه ابتداء من عهد معاوية اتجه العطاء اتجاها سياسيا فارتبط منحه في بعض الحالات بتأييد شخص الخليفة وتدعيم سلطانه، وفيما يلي نماذج لذلك:

\* قال زياد في عهد معاوية بن أبي سفيان على المنبر مهددا أهل البصرة بقطع العطاء عنهم إذا لم يكفوه بعض الخارجين على الولاء لمعاوية وله: يا أهل البصرة والله لتكفني هؤلاء أو لأبدأن بكم والله لئن أفلت منهم رجل لا تأخذون العام من عطائكم درهما. فثار الناس فقتلوهم.

### 5- فقدان المالية العامة بعض سماتها الإسلامية

كان من آثار نشوء الخلاف بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ومقتل علي وتولي معاوية الحكم أن حاد معاوية عن منهج الخلفاء الراشدين في إدارة المالية العامة في عهده، فمعاوية أول من أقام الحرس والشرطة والقوانين في الإسلام وجلس على السرير والناس تحته، وبنا وشيد البناء وسخر الناس في البناء وأخذ أموال الناس لنفسه، ومما سبق يتبين أن الإنفاق العام في عهد معاوية لم يوجه إلى التوجيه الرشيد الذي كان يلتزم به الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم.

### محاضرة 03

#### مادة: تاريخ النظم المالية في الإسلام

د/ مريم شطيبي محمود

لقد امتدت المخالفات في السياسة المالية حتى عهد الخليفة الأموي سليمان ابن عبد الملك وقد توفي يوم الجمعة 10 صفر سنة 99 هـ، وبذلك آن أوان نبوءة الرسول صلى الله عليه وسلم بالإصلاح طبقا لحديثه الذي رواه أحمد بن حنبل وهو: «إن الله عز و جل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة رجلا يقيم لها أمر دينها»، لذلك سنرى أن الله عز و جل بعث للأمة الإسلامية عمر بن عبد العزيز ليقوم لها أمر دينها في المالية العامة الإسلامية.

### ثالثا: النظام المالي في عهد عمر بن عبد العزيز

أخذت سياسة عمر بن عبد العزيز المالية مكانة بالغة الأهمية في فترة خلافته، إذ تشهد أيامه التي قضاها على رأس الخلافة أنه كان مديرا ماليا بامتياز فقد تميز عهده برخاء اقتصادي حتى صار أهل الزكاة لا يجدون من يأخذ زكاتهم، وذلك لعدم وجود من يستحقها بسبب الرفاهية الاقتصادية المنقطعة النظير.

وستتناول في هذا المقام الإشادة بأهم الإجراءات المالية المتخذة في عهده وأثرها على النواحي الاقتصادية للخلافة، لذلك فإن دراسة السياسة المالية والاقتصادية لعمر بن عبد العزيز تعد أمرا مهما، لأن عهده جاء بعد أن ظهرت عدة تجاوزات مالية واقتصادية لم تكن موجودة زمن الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين.

ففي عصر عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - سعت الدولة إلى إعادة هيكلة وترتيب وإصلاح بيت المال من خلال إيراداته، بحيث بدأ عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - سياسته المالية بزيادة الإنفاق على عامة الرعية منقفا في رد المظالم حتى نفذ بيت مال العراق وجلب إليه من الشام، ولما استطاع عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - تحقيق العدالة الاجتماعية والمالية في جمع إيرادات بيت المال، وكذلك صرف مستحقاته، فقد زادت الأموال بشكل فائق الحد في عهده، فشرع في صرف الأموال على الناس بطرق مبتكرة، كان من شأنها القضاء على كثير من الأزمات والمشكلات.

فقد أمر والي العراق عبد الحميد بن عبد الرحمن أن " أخرج للناس أعطياتهم "، فكتب إليه عبد الحميد: "إني قد أخرجت للناس أعطياتهم، وقد بقي في بيت المال مال".

فأمره بأن يقضي ديون المعسرين من بيت المال، إذ قال: " أنظر كل من أدان في غير سغه، ولا سرف فاقض عنه "، فكتب إليه: " إني قد قضيت عنهم، وبقي في بيت مال المسلمين مال ".

فأمره أن يزوج المعسرين من شباب وفتيات المسلمين، فقال: " أنظر كل بكر ليس له مال فشاء أن تزوجه فزوجه، وأصدق عنه "، فكتب إليه: " إني قد زوجت كل من وجدت، وقد بقي في بيت مال المسلمين مال".

فأمر عمر - رحمه الله- بأن تتم عملية التسليف الزراعي من بيت المال حيث يقدم القروض للمزارعين إذا ما أصابتهم ضائقة.

**فمن هو عمر بن عبدالعزيز؟**

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف أبو حفص القرشي الأموي، أمير المؤمنين تولى الحكم لمدة سنتين وخمسة أشهر، ملأ الأرض فيها عدلاً، فأعاد عهد الخلفاء الراشدين وأحياه، ولم يتبع سياسة بني أمية التي اتسمت بالمخالفات المالية سواء فيما يتعلق بالموارد أو النفقات أو العطاء، وكذلك الترف المالي والإسراف فيه، بل قام - رحمه الله - بنشر العدل ورد المظالم إلى أهلها، ولقد كانت شخصية مؤهلة لذلك التجديد المالي ومن أهم تلك المؤهلات:

\* التزام طريق تقوى الله منذ صغره.

\* أخذ العلم الصحيح من منابعه، حيث كان قد حفظ كتاب الله في صغره وتلقى العلم من علماء المدينة، حتى أن علماء عصره يشعرون معه بأنهم تلاميذ له.

\* تعامله وفق منهج الشورى، وكان قد أسس مجلساً للشورى يتكون من عشرة فقهاء لا يقطع أمراً دونهم وهم كبار فقهاء عصره.

\* إقامته لميزان العدل والإنصاف في كل أمر.

**1- ركائز الإصلاح المالي في عهد عمر بن عبد العزيز رحمه الله (99 هـ - 101 هـ)**

أ- إحياء العمل بسنة الخلفاء الراشدين: إن أول منهج للتجديد الإصلاحي الذي قام به عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - هو رد الأمور إلى ما كانت عليه في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده، خاصة جده لأمه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولقد قال لسالم بن عبد الله بن عمر وهو أحد رجال مجلس الشورى: أكتب لي سيرة عمر حتى أعمل بها.

ب- الاهتمام والعناية الفائقة ببيت المال: حيث اعتبر صاحب بيت المال أحد أركان الدولة الأربعة (الوالي والقاضي والخليفة وصاحب بيت المال)، فقد كتب إلى أحد ولاته: " إن للسلطان أركاناً لا يثبت إلا بها فالوالي ركن والقاضي ركن وصاحب بيت المال ركن والركن الرابع أنا ، فاستوعب الخراج وأحرزه في غير ظلم فإن يك كفافاً لأعطياتهم فسيبيل ذلك، وإلا فاكتب إلي حتى أحمل إليك الأموال فتوفر لهم أعطياتهم ".

فكان بيت المال فائضاً عنهم، فأمر عمر بأن يقسم الفضل على أهل الحاجة. من هنا نجد أن بيت المال المركزي في الدولة الإسلامية كان له دور عظيم في تقوية بيوت الأموال الفرعية.

ج- منع قوانين الاحتيال المالي: حيث قام بإلغائها بعد أن وضعها عمال بني أمية لإجبار أهل الذمة الذين دخلوا الإسلام على الاستمرار في دفع الخراج والجزية.

د- الترغيب المالي في الدخول إلى الإسلام: وذلك عندما أسقط الجزية عن من أسلم من أهل الذمة وكان الحجاج قبله لا يسقطها عن من أسلموا، فأعلن عمر أن كل من يدخل الإسلام بإعلانه الشهادتين تسقط عنه الجزية، ولم يهمه ما يتبع ذلك من تخفيض إيرادات الدولة.

هـ- اهتمامه بصلاح الأحوال أكثر وأعظم من اهتمامه بجمع الأموال: ومما يدل على ذلك إيجاده المخرج الشرعي لأصحاب الأراضي الذين أسلموا فالمسلم لا يؤدي الخراج، فما يكون وضع هذا حينما يسلم؟ فلقد أوجد عمر بن عبد العزيز الحل في ذلك عندما فرض على المسلمين الذين يقون على أراضيهم أن يدفعوا أجرة للأرض، هذه الأجرة ليست الخراج، وإنما هي مقابل استثمارهم

للأرض، فكانت النتيجة واحدة فالمسلمون يدفعون أجرة، وغيرهم حكمهم حكم الخراج، وبذلك يكون قد حفظ أمانة الحكم الشرعي ورصيد بيت المال من هذا المورد.

### و- ربط بين الإصلاح المالي والإصلاح الاقتصادي: حيث قام بما يلي:

\* انتزع الأرض المفتوحة من أيدي بني أمية وجعلها للذين يفلحون فيها ويزرعونها وفرض عليها خراج كباقي الأرض الزراعية، مما جعل من الفلاحين أثرياء وأدى ذلك إلى تدفق أموال الخراج إلى بيت مال المسلمين، وأسعد الناس بذلك العمل.

\* قام برد المظالم لأصحابها كالضياع التي استولى عليها بني أمية، والحوانيت المغتصبة.

\* فتح باب الهجرة في البر والبحر لكل الناس، حيث أعطى من والاه الحرية في أن يهاجروا متى أرادوا ولو على حساب أراضي الخراج. فمن يعمل مكرها لا يقدم إنتاجا متقنا. وكان قد قال في ذلك: " إن البر والبحر لله جميعا سخرهما لعباده يتبعون فيهما من فضله كيف نحول بين عباد الله ومعاشهم ".

\* أطلق حرية التجارة وعمل على عدم التدخل في الأسعار.

\* قام ببناء المساجد والحوانيت للفقراء لكي يأكلوا منها، واهتم بالمرضى والمحتاجين.

ي- مورد الزكاة: إن مورد الزكاة مورد عظيم وثابت وله فضل مساعدة بيت المال في كثير من واجباته عبر عصور الأمة الإسلامية، ورغم أن حصيلة الزكاة الواردة لبيت المال قد نقصت بشكل عام في العصر الأموي، إلا أن تولي عمر بن عبد العزيز الحكم غير الحال لدرجة جذرية ومما ساعده على ذلك ما يلي:

\* الإصلاح المالي والاقتصادي وحرية التجارة، هذه العوامل كان لها أثر بارز في زيادة الإنتاج وبالتالي زيادة مورد الزكاة.

\* العدل والتقوى في عهده الذي ما إن سمع الناس بولايته حتى سارعوا إلى دفعها للدولة، وذلك عائد إلى ثقة الناس بتقديم الزكاة إلى ديوان الصدقات.

## محاضرة 04

### مادة: تاريخ النظم المالية في الإسلام

د/ مريم شطيبي محمود

#### 2- أسس السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز

تتجلى أسس السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز من خلال النظر في بعض خطبه المشهورة، والتي كانت تحمل في طياتها ملامح سياسة مالية رشيدة، استلهمها ممن سبقه في الحكم من الخلفاء الراشدين وبالأخص من سيدنا عمر بن الخطاب، والدليل على ذلك طلبه من سالم بن عبد الله بن عمر أن يكتب له سيرة مفصلة لعمر بن الخطاب حتى تكون له سندا يقتدي به مستقبلاً.

وحين توليه الإمارة في الدولة الإسلامية ألقى خطابه التالي: «أوصيكم بتقوى الله عزوجل، فإن تقوى الله خلف من كل سعي، وليس من تقوى الله عزوجل خلف. واعملوا لآخرتكم فإنه من عمل لآخرته كفاه الله تعالى أمر دنياه، وأصلحوا سرائركم يصلح الله الكريم علانيتكم، وأكثروا ذكر الموت، وأحسنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم، فإنه هادم اللذات، وإن هذه الأمة لم تختلف في ربها عز وجل، ولا في نبيها صلى الله عليه وسلم، ولا في كتابها، وإنما اختلفوا في الدينار والدرهم، وإنني والله لا أعطي أحداً باطلاً، ولا أمنع أحداً حقاً».

ومن خلال التمعن في أقواله تتضح أهم المعالم التي أسس بموجبها سياسته المالية والتي كانت تقوم على ما يلي:

**أ - العدل المالي ورفع الظلم:** من خلال رؤيته الثابتة بوجود انتهاكات في تطبيق السياسة المالية لمن سبقوه من أمراء بني أمية من خلال قوله فيما سبق ذكره: «وإن هذه الأمة لم تختلف في ربها عز وجل، ولا في نبيها صلى الله عليه وسلم، ولا في كتابها، وإنما اختلفوا في الدينار والدرهم»، وهو ما دفعه إلى ترسيخ قيم الحق والعدل ودفع الظلم وجعلها أساسا لقيام سياسة مالية رشيدة، فجميع الأهداف والوسائل التي اتبعها كانت تنسجم مع هذا الأساس، وتحقيق العدل ودفع الظلم هو أصل من أصول الشريعة ومقصد رئيسي من مقاصدها، قال تعالى: «لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط»<sup>2</sup>.

**ب- تأكيده على تطبيق السياسة المالية المنتهجة أيام الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده:** وذلك من خلال قوله بأنه إن أبواه الله ليردن النهر المورود الذي تركه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى سابق عهده، وأيضا من خلال طلبه من سالم بن عبد الله بن عمر أن يكتب له سيرة عمر بن الخطاب، ومنه الوصول إلى العمل بنفس السياسة المالية التي انتهجها عمر بن الخطاب، والتي بدورها كانت تقوم على مجموعة من الأسس نلخصها فيما يلي ( سياسة عمر بن الخطاب رضي الله عنه التي عمل بها عمر بن عبد العزيز ):

\* مساواة الخليفة مع الرعية في الطعام والكساء، حيث حلف عمر رضي الله عنه بأن لا يذوق السمن واللبن حتى يلبي احتياجات الرعية من الطعام، وجاءت ممارسة الفاروق رضي الله عنه لهذا المبدأ كدليل واضح على مبدأ العدل والمساواة في التسيير المالي لشؤون الخلافة الإسلامية.

\* إلحاق كل الأمور المالية من إيرادات ونفقات بشخصه إلى جانب أمور الخلافة، حيث قال: «من أراد أن يسأل عن المال فليأتني، فإن الله جعلني له واليا وقاسما».

\* بناء سياسة مالية تقوم على مبدأ حصول كل ذي حق على حقه من بيت المال، استنادا لقوله: «ولا أمنع أحدا حقه».

<sup>2</sup>سورة الحديد، الآية: 25.

\* الاختيار الأمثل للأمرء والولاة الصالحين القادرين على التسيير المثالي لشؤون المالية، حينما اعتبر أن صاحب بيت المال ركن من أركان أربعة لتثبيت السلطان.

\*التسيير الرشيد والعقلاني في إنفاق المال العام، حيث يقول: «ولكم إذا وقع في يدي (أي المال العام) ألا يخرج مني إلا بحقه».

\* إقامة إدارة الجباية العادلة، وقد قال في هذا الشأن: «ولكم علي ألا أجتبي شيئاً من خراجكم، ولا مما أفاء الله عليكم إلا من وجهه».

\* إعادة الأموال التي أخذت من أصحابها ظلماً لأنها تبقى حائلاً دون مشاركة الأفراد في مشروعات التنمية وتطوير الأوضاع الاقتصادية، وإن هذه الأموال تبقى في ذاكرة المجتمع مؤشراً سلبياً على ثقة الناس بالمصلح، لأن رفع شعار الإصلاح الاقتصادي يتعارض مع الصورة بإبقاء الظلم، كما أن من لا يصلح القديم لا يحسن في الجديد، فقد كتب عمر ابن عبد العزيز إلى عماله في مال قبضه بعض الولاة ظلماً، أن يرده إلى أهله، وتؤخذ زكاته لما مضى من السنين، ثم عقب ذلك، بأن لا يؤخذ منه إلا زكاة سنة واحدة.

\*الاهتمام بفريضة الزكاة العينية والتشديد عليها، وعدم التهاون في جمعها وإنفاقها، والحرص على وصولها للمستحقين لها.

\* محاربة الفساد المالي والرشوة باسم الهدية، قال عمرو بن مهاجر: انتهى عمر بن عبد العزيز تفاحاً، فأهدى له رجل من أهل بيته تفاحاً، فقال: ما أطيب ريحه وأحسنه، ارفعه يا غلام للذي أتى به، وأقربى فلانا السلام، وقل له: إن هديتك وقعت عندنا بحيث نحب، فقلت يا أمير المؤمنين: ابن عمك ورجل من أهل بيتك، وقد بلغك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأكل الهدية، فقال: ويحك إن الهدية كانت للنبي صلى الله عليه وسلم هدية، وهي لنا اليوم رشوة.

\* زيادة الإنفاق على الفئات الفقيرة والمحرومة ورعايتها، وتأمين مستوى الكفاية لها عن طريق الزكاة، وموارد بيت المال الأخرى.

\* تحسين موارد الدولة المالية، وضبطها بالضوابط الشرعية، كجباية الزكاة والخراج وغيرها.

ومما سبق ذكره، يتضح أن أسس السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز كانت في الأصل مزيجاً بين أسس من سبقوه في الحكم من الخلفاء الراشدين، وعلى رأسهم الفاروق عمر رضي الله عنه، وإبداعات شخصية، استهلها بعمليات إصلاحية للمخالفات المالية التي شابت بعض الشؤون المالية في عهد بني أمية، وكذا توزيع دقيق وعادل للثروة، وختمها بضبط شامل للنظام المالي، بزيادة الموارد وضبط الإنفاق، مع مراعاة ترتيب حقوق الناس في مختلف أرجاء الخلافة الإسلامية.

### 3- دور الأسس المالية الرشيدة في تحقيق الرخاء الاقتصادي في عهد عمر بن عبد العزيز

لقد كان للأسس المالية التي استند إليها عمر بن عبد العزيز الأثر الكبير والسريع على الأحوال الاقتصادية للمجتمع الإسلامي، والملاحظ أن الخليفة الراشد الخامس كان ينظر دائماً إلى المال على أنه وسيلة لتحسين أحوال الرعية، وليس وسيلة للمنافع الشخصية، وفي ذلك بدأ عمر بن عبد العزيز بنفسه باعتباره المثل والقُدوة فوهب كل ما يملك من أموال وأراض هو وزوجته إلى بيت المال، لكي تنفق على شؤون المسلمين، وهو ما جعله يكسب قلوب من عايشوه في تلك الحقبة.

كانت سياسة عمر المالية تهدف على إيصال الناس إلى حد الكفاية، من خلال زيادة الإنفاق على الفئات الفقيرة والمحرومة ورعايتها، وتأمين مستوى الكفاية لها عن طريق الزكاة وموارد بيت المال الأخرى، ويلاحظ ذلك من خطبه، فقد خطب الناس يوماً فقال: «وددت أن أغنياء الناس اجتمعوا فردوا على فقرائهم، حتى نستوي نحن وهم، وأكون أنا أولهم» وفي خطبة أخرى يقول: «ما أحد منكم تبلغني حاجته إلا حرصت أن أسد من حاجته ما قدرت عليه».

وقد ظهر ذلك عمليا عندما أمر بقضاء دين الغارمين، عندما كتب إليه عامله على الصدقات: إنا نجد الرجل له المسكن والخدام، وله الفرس والأثاث في بيته، فأجاب عمر لا بد للرجل من المسلمين من مسكن يأوي إليه رأسه، وخدام يكفيه مهنته، وفرس يجاهد عليه عدوه، وأثاث في بيته، فهو غارم فاقضوا عنه، فسياسة عمر المالية تهدف إلى كفاية الناس من حيث المسكن والمركب والأثاث، وهي حاجات يرى أنها أساسية، وضرورية للإنسان تصعب الحياة بدونها.

وباختصار يمكن القول بأن الأسس المالية المنتهجة من طرفه، كان لها أهمية كبيرة في تحقيق الأهداف الاقتصادية في ظرف وجيز لا يتعدى الثلاثين شهرا، ويمكن الإشارة إلى بعض الآثار الاقتصادية المحققة في إطار تطبيق السياسة المالية الراشدة:

1- القضاء نهائيا على جميع أوجه الفقر والحاجة حتى اكتفى الناس، ووصل الأمر بهم أن كان الرجل يخرج زكاة ماله، فلا يجد أحدا فقيرا ليستلمها.

2- حل مشكلة مديونية الأفراد وكذا القضاء نهائيا على كل الآفات الاقتصادية للمجتمع، نتيجة الفائض المالي الذي شهدته ميزانية الدولة في عهده، لاندفاع أفراد المجتمع على العمل والإنتاج، بعد استقرار الأمن والتخلص من القوانين الجائرة المعيقة للاستثمار، فكثر عدد المؤدين للزكاة، وانخفاض عدد القابضين لها.

3- معالجة مشكلة العجز المالي التي لطالما عانت منها خزينة الخلافة خاصة في عهد عبد الملك بن مروان نتيجة التكاليف التي كانت تتحمل عبئها الخلافة في عهده، بتقديم الجزية لملك الروم، بسبب عدم قدرة الدولة في تلك الحقبة على مواجهته عسكريا، نتيجة نقص الأموال والعتاد العسكري.

4- اتباع سياسة محاربة الإسراف والتبذير والرشوة والفساد المالي من طرف شخصه كان لها الأثر الكبير في التقليل من تكاليف الإنتاج، وهذا بدوره أعطى للمشروعات الإنتاجية إمكانية الربحية والاستمرار والنمو والتطوير إلى الأفضل، من خلال زيادة المبيعات فزيادة الإنتاج ومقابلة الطلب المتزايد بحجم من عملية ارتفاع الأسعار.

5- إن تطبيق سياسة زكاة المال والتكافل الاجتماعي للخليفة الخامس ساعد على هطول الأموال واستثمارها في المشروعات الطيبة الحلال، كما أن إيتاء الزكاة عينا من أفضل السياسات المالية العمرية لتقليل عرض النقود وبذلك لا تخلق فرصا للتضخم الاقتصادي.

## محاضرة 05

### مادة: تاريخ النظم المالية في الإسلام

د/ مريم شطيبي محمود

#### الفصل الخامس: النظام المالي في عهد الدولة العباسية (132هـ - 656هـ)

عندما ضعفت الدولة الأموية بعد وفاة عمر بن عبد العزيز، تطلع الناس إلى رجل يعود بالأمة إلى الطريق الصحيح، يرفع عنهم الظلم، ويقوم فيهم العدل، ويهرب بهم الأعداء.

#### أولا: البداية التاريخية ونشأة الدولة العباسية

تركزت الدعوة العباسية في خراسان لعدة أسباب من أبرزها: بعدها عن العاصمة الأموية دمشق، وغلبة الروح العدائية فيها ضد الأمويين، وذلك لغلبة العنصر غير العربي فيها، وكانوا قد عانوا كثيرا من مساوئ سياسة بعض الأمويين وعبروا مرارا عن تدمرهم من هذه السياسة.

وقد مرت الدعوة العباسية في طريقها لإسقاط الدولة الأموية بدورين، عرف الأول بدور الدعوة السرية، وعرف الثاني بدور الدعوة العلنية.

فالدولة العباسية دولة إسلامية قامت بعد سقوط الدولة الأموية على يد العباسيين، وتعتبر ثاني دولة عربية عظمى ظهرت في العصور الوسطى، وثالث خلافة إسلامية في التاريخ، وثاني السلالات الحاكمة الإسلامية.

استطاع العباسيون أن يزيحوا بني أمية من درهم ويستفردوا بالخلافة، وقد قضاوا على تلك السلالة الحاكمة وطاردوا أبناءها حتى قضاوا على أغلبهم ولم ينج منهم إلا من لجأ إلى الأندلس، وكان من ضمنهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم.

فتأسست الدولة العباسية على يد المتحدرين من سلالة أصغر أعمام نبي الإسلام محمد بن عبد الله، ألا وهو العباس بن عبد المطلب، وقد اعتمد العباسيون في تأسيس دولتهم على الفرس الناقمين على الأمويين لاستبعادهم إياهم من مناصب الدولة والمراكز الكبرى، واحتفاظ العرب بها، وقد نقل العباسيون عاصمة الدولة بعد نجاح ثورتهم من دمشق إلى الكوفة، ثم الأنبار قبل أن يقوموا بتشديد

مدينة بغداد لتكون عاصمة لهم، والتي ازدهرت طيلة ثلاث قرون من الزمن، وأصبحت أكبر مدن العالم وأجملها، وحاضرة العلوم والفنون.

ثم ما لبثت أن فاقتها بإشعاعها الفكري الوهاج وحضارتها الخصبية المتألئة، حيث صارت عاصمتها بغداد حاضرة الدنيا، فقصدها العلماء والمفكرون والكتاب والشعراء والأطباء والفنانون وأصحاب الحرف والتجار من كل جنس، و من أشهر خلفاء بني العباس:

**1- أبو العباس السفاح:** كان أول خلفاء بني العباس، دامت خلافته من سنة 132هـ إلى سنة 136هـ وقد قتل على يده العديد من الأمويين وغيرهم ما جعله جديرا بلقب السفاح الذي اختاره لنفسه.

**2- أبو جعفر المنصور:** دامت خلافته من سنة 136هـ إلى 158هـ، ويعتبر المؤسس الحقيقي للدولة وموطد أركانها ومن أعماله العظيمة : تأسيس بغداد واتخاذها عاصمة وتنظيم الجيش واسناد قيادته إلى عظماء من العرب منهم : ابن عمه موسى.

وحيثما تولى الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور الخلافة، كانت سياسته المالية متقشفة إلى أقصى حد، فلم يكن يخرج دينارا ولا درهما من بيت مال المسلمين إلا وكان يعلمه، حرصا منه على الأموال، ونتيجة لهذه السياسة المتشددة، تأثر الناس بها تأثرا شديدا، حتى اتهم المنصور بالبخل.

فلما تولى ابنه المهدي الخلافة، عدل عن سياسة أبيه، ورأى أن التيسير على الرعية بالإفناق عليهم أوجب من الإمساك والبخل، ولذلك فقد أمر عند بداية خلافته باستخراج حواصل أبيه من الذهب والفضة، التي كانت لا تعد و لا توصف، ففرقها على الناس، ولم يعط أهله ومن والاه منها شيئا، بل أجرى لهم أرزاقا بحسب كفايتهم من بيت المال، لكل واحد خمسمائة في الشهر غير الأعطيات.

**3- محمد المهدي:** ودامت خلافته من سنة 158هـ إلى 169هـ، من أعماله : إطلاق سراح المساجين السياسيين، ورد إليهم الأموال المصادرة، ورفع الحجز عن تموين الحجاز ووزع على أهله أموال طائلة حين حج سنة 160 هـ .

**4- هارون الرشيد:** دامت خلافته من سنة 170هـ إلى 193 هـ، أشهر خلفاء بني العباس، لم يعرف التاريخ الإسلامي عصرا أزهى من عصر الرشيد وابنه المأمون، كان عالما محبا للعلم وكان متين الإيمان يحج سنة ويغزو سنة، ومن مآثره تأسيس بيت الحكمة لنشر العلم والمعرفة، فكانت مبعث نور تدين له الحضارة المعاصرة بأصولها.

وقد بلغت الأموال في بيت المال حدا لا يوصف من الكثرة، نتيجة السياسة المعتدلة التي انتهجها هارون الرشيد، فقد كان المحمول إلى بيت المال في عهده سبعة آلاف قنطار وخمسمائة قنطار في كل سنة.

**5- عبدالله المأمون:** دامت خلافته من سنة 193هـ إلى 218هـ، وسع بيت الحكمة التي أسسها والده وجمع فيها كنوز الثقافة الإسلامية والأجنبية.

**6- المعتصم:** دامت خلافته من سنة 218هـ إلى 227هـ، نشأ نشأة عسكرية شغلته عن التوسع في المعارف.

## ثانيا: نظام الحسبة في العهد العباسي

### 1- تعريف الحسبة

أ- الحسبة لغة: حساب الشيء بحسبه حسابا وحسابا وحسابة وحسبة وحسابانا، أي عده، وتحسب أي تعرف علما لأشياء وتحرب عنها.  
ب- الحسبة اصطلاحا: عرفها الماورديب "الحسبة هي أمر بالمعروف وإظهار تركه هو نهى عن المنكر إذا ظهر فعله واستدل بقوله تعالى: «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون»<sup>3</sup>.

### 2- أركان الحسبة

للحسبة خمسة عناصر وأركان لا بد أن تتوفر فيها ليطلق علما العمل بالحسبة وعلما العامل بالمحتسبوهي:  
\* حسن التدبير والنظر في الأمور.  
\* تقوم علما بالبحث والاستخبار والمراقبة، لا الاكتفاء بظواهر الأمور.  
\* الإقدام علما للخير والنهي علما للقبائح والمنكرات.  
\* الصبر علم مهمة الأمر بالمعروف والنهي علما المنكر.  
\* احتسابا بالأجر عند الله تعالى.

### 3- التطور التاريخي لنظام الحسبة

يرجع بعض المؤرخين نشأة نظام الحسبة إلى العهد النبيل لله عليه وسلم، مستندين بذلك لحد يثا الذي رواها أبو هريرة رضيال الله عنه، لما

مر النبيصل لله عليه وسلم برجليي عطاء ما فأعجبه فأدخيلده فيهما إذا هو بطعام مبلول، فقالا النبيصل لله عليه وسلم:

<sup>3</sup>سورة آل عمران، الآية: 104.

«ليس منا من غشنا»، فاتخذ البعض هذا الحادثة كبداية للتأريخ بنشأة نظام الحسبة،

ثم استدلو ابتداءً بكيفية الروايات التاريخية منتوليه عليها الصلاة والسلام سعيد بن العاص لعل سوق مكة بعد الفتح وعمر عد سوق المدينة، يظهر هذا الأمر أن ولاية الحسبة ارتبطت بنشأتها بقيام الدولة الإسلامية، وبهذا فإن عمر بن الخطاب بسعيد بن العاص صوفاً أسلم قبلاً لفتح قليل

يكوناناً ومنوليو ولاية السوق بالتكليف، وعليها اعتمد بعض الباحثين في تأسيس كيد قيام ولاية الحسبة في العهد النبوي. والحقيقة أن هذا الرأي جعل ولاية السوق هي ولاية الحسبة، والحقيقة أن ولاية السوق هي جزء من ولاية الحسبة وليست كلها، كما أنها لا استدلاً لتولية سعيد وعمر بعد الفتح لعلها إقامتها بعد قيام الدولة خاطئاً لأن المؤرخين جمعوا نعلقها بالدولة في المدينة قبل الفتح، وبالتالي يكون إنساناً فعالاً لتولية سعيد وعمر أنهما كانوا يقوموا بالمرئى نفسه. فلما فتح مكة و

اتسعت رقعة الإسلام موكثر الداخلو تنفيذين الله، ووضع عليها الصلاة والسلام في كل مكان غنيقو بمراقبة الأسواق، ليتفرغ عليه الصلاة والسلام لملقاء الوفود وتعليم المسلمين الجدد، فيقع خاطئاً الاستدلال لعل قيام ولاية الحسبة بهذا الشكل. كما ويرجع عدد من تنظيمها للولاية في عهد هصلب الله عليه وسلم، أن المسلمين كانوا متمسكين بتعاليم الإسلام، ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكاننا الصحابة الكرام يقومون بهذا الدور منتلقاء أنفسهم في الأمور العامة، ولكن لما كانتنا لأسواق حاجة للرقابة

بطريقة التحريو الاختبار كما ظهر من فعله هصلب الله عليه وسلم مع صاحب الطعام فقد وضع غنيقو مبهداً المهمة. ويرحسناً إبراهيم حسناً وأوجود وتنظيم الحسبة كان في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب برضيا لله عنهم استدلاً بقوله رضيا لله عنهم من حمل حملاً ثقيلاً: لم حملت على حمل كما لا يطيق.

ورغم أنها قرأ نلفظاً محتسب

لمستخدم في حينها، إلا أنها كد علمناً لعل ليل الوجود، وهذا مردود عليها لأنها تبتين سابقاً كما أن وجودها هو ولاية للسوق، وأما باقياً الأمر فقد كان يقوم بها عمر بن الخطاب وغيرهمنا الصحابة من باب الحسبة تطوعاً، ولذا لا يمكننا الاستناد عليها لرواية لإثبات وجود ولاية الحسبة في العهد الراشدي.

وقد استمر هذا الأمر في عهد الدولة الأموية (41هـ-132هـ) تحت مسمى ولاية

السوق، وأطلق لعل القائم بها عاملاً لسوق، وكان هذا العام ليعينغاً بالمنتقبلاً للخليفة أو الوالي، وليس لها اختصاص بخارج رجال سوق كما يظهر من اسمه، وكان لعمال السوق بيت في قلب السوق يجلس فيه ليقوم بعمله.

أما في العهد العباسي فقد ظهر أول تنظيم للحسبة كجهاز مستقل بذاتهم مكوناً لها الخاصة، وأصبح نظماً رقابياً قضائياً لمخصصاتها المحددة، ويشترط فيهم الشروط ما يكون عدلاً قاضياً شديداً في بعض الأحيان، وهو ما اتفق عليه فقهاء ذلك العصر، وما بعدهم من العصور الإسلامية.

#### 4- أسباب التعمق وتنظيم الحسبة في العهد العباسي

طُرِفَ العهد العباسي على المدناً الإسلامية والحياة العامة بشكلاً عاماً الكثير من التغييرات التي دفعت الخلفاء لتطوير نظام الرقابة العامة، فتم تطوير نظام الحسبة، وذلك رغبة من الخلفاء في السيطرة على الأمور داخل المدن بسبقها الحياتي والثقافي، وترجع عهداً لها أسباباً بالثلاث متمغيرات حصلت تنفيذاً للعهد:

أ-

**التوسع العمراني والاقتصادي:** منحياً للتوسع العمراني فقد عملاً الخلفاء العباسيين على إنشاء المدن، وكانت تحتها تلك المدن مدينة الرصافة بالقرب من الكوفة، ثم بغداد التي أنشأها المنصور سنة (145هـ - 762م) كعاصمة للدولة العباسية، وتكونت من عدد كبير من الأحياء تطورت مع الزمن إلى مدن مستقلة داخل بغداد، ووضع كل منها جميعاً المرافق التي تلازم للسكن من مساجد ومستشفيات وحمماً ما توغيرها، وبنيت بعد ذلك أسواراً في عهد المعتصم سنة 220 هـ.

هذا غير ما عملها الخلفاء العباسيين في المدناً القديمة كالكوفة فزادوا ببناءها ووسعوا من مرافقها وبنفياً أبو جعفر الهاشمي المقلراً وللخلفاء بني العباس ووسعوا صمتهم قبل بغداد، فكانت تؤدي ذلك زيادة أعداد السكان، فكانت الحاجة لمنيراً قبل أن نظمة التي وضعها الخلفاء للمدن، منشوراً عومراً فعمامة وخاصة، ويعمل على إزالة التعديات التي كانت تنطو راً عليها من السكان الوافدين.

أما من حيث التوسع الاقتصادي فقد عملاً الخلفاء العباسيين على توسيع النشاط التجاري والاقتصادي في المدناً الإسلامية، ووردت الصلات التجارية بالعلاقات الدولية بما سوية مع الدول الأخرى خاصة الصين والهند، وذلك لتأمين الممرات التجارية للتجارة المسلمين والسماح لهم بالتجارة تحت حماية الدولة المتاجر فيها.

وقد عملاً المنصور في تخطيطه لبناء بغداد علماً نيكو نل هفيها طرقاً تؤدي إلى الصين والهند، وخرسانوا الشاحته تيمكن من استجواب صناعاتها وخيراتها، وعملاً الخلفاء العباسيون على تدميم أسطولاً إسلامياً يسيطر على البحر وطرق التجارة وحراروا القراصنة،

واشتهرت تلك المدن بنوع من المراكب، وعملاً المنصور على شحذ بغداد بجميع أنواع الصناعات والحرف من جميعاً الأماكن، لذا كان على الخلفاء أن يوجودوا أسلوباً للرقابة على تلك الصناعات والحرف والتجارات، حتى أنمو الا استقرار الاقتصاد يوماً

خلالمدناالإسلامية،لأنالاقتصادعمودالدولة فعمل المحتسبة على صيانة الحياة الاقتصادية في الدولة العباسية.

**ب - الترف و المجون:** علأثرالاستقرارالسياسيوالاقتصاديفيالعهدالعباسيخاصةفياالعصرالأول(132  
232

ه)وزيادةوارداتالدولةالمالية،فقدانتشرتالترفيالمجتمعالإسلاميخاصةفياالطبقاتالوسطىكالتجار،والعلياكأصحابالسلطة،ومنيصلاإليهممنالندماءوالجلساءوغيرهم،وكانأشهرمظاهرالترفمجالالندماءمنالمغنيوالشعراء،فكانالخلفاءيبدلونلهؤلاءالمغنيالكثيرمنالأموالخاصةإذنجحوافيإطرابالخليفةأوالوالي،حتأصبحالمغنيأخذفيليلةواحدةمايجعلهفي مصاف الأغنياء، وتوسعالخلفاءوالولاةوأصحابالأموالفيشراءالعبيدخاصةالغلمانوالجواني،وكانتالجواريشكلخاصتستخدملغناء،كماأخذتالجواريكهدايابينالأمرأ والخلفاء، ونسبت الكثير من الجواني إلى أسيادهم، ويظهرمدتغلغلظاهرةالجواريفيحيةالعباسيينأنجميعخلفاءبنوالعباسبالعدددهمسبعةوثلاثونخليفةهمأبناءجواريا لأبوالعباس والمهدي و الأمين.

فكاننماالمسلمبهاأندخولالمجتمعالعباسيلحالةالترف،وانتشارالمغنيوالشعراءوزيادةأعدادالجواريوالغلمانبزيادةالطلبعليها،سيتتهيبكثيرمنأبناءهذا المجتمعلتجاوزالحدالمباحللمأهو محرم،

فقدظهرتظاهراالمجونأولاويدورالخلفاءوالأمرأ

بقيامالمغنيباستخدامالاتالموسيقيةللغناءالفاحش،كالغنيبالنساءوحبالخمر وغيرها،

وتابعها بعد ذلكشربالخمر فيها هذا مجالالسؤالالذيكانيمتدفيبعضالأحيانطوالالليل،وتبعالعامةالخاصةفيذلكحتاشتهرتأماكنفيغدادوالبصرةبشربالخمرمصحوبابالغناءوالرقص.